ضربت عليهم الذلة

وتخبرنا هذه الآيات بحقيقة قرآنية أخرى، متعلِّقة باليهود وتاريخهم، ونراها متحققة في كيانهم، ومنطبقة عليهم في حاضرهم وواقعهم، وهي ضرب الذلة عليهم وضرب المسكنة عليهم، وملازمتهما لهم في كل أحوالهم.

وعبَّرت الآيات عن لصوق الذلة والمسكنة بهم بكلمة «ضُربت». وهذه الكلمة توحي بالحالة الدائمة التي لا تفارقهم، والضرب هنا يعني الختم، تقول: ضُربت الدراهم والدنانير، يعني صُهرت المعادن صهراً، وسُكبت سكباً، لتخرج على صورة الدراهم أو الدنانير.

وهذا ما نلحظه في تاريخ اليهود كله، فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ضرباً، وكأن نفوسهم أعيد تكوينها من جديد، حيث مزجت بالذلة والمسكنة مزجاً، وخلطت بهما خلطاً، وعجنت بهما عجناً، ثم أعيد تشكيل هذه الشخصية اليهودية وأخرجت إلى الخارج والواقع، فكانت مصنوعة من الذلة والمسكنة، وتغلغلت هذه الذلة والمسكنة في كافة حناياها، وتداخلت في جوانبها، وسَرَت في دمائها وأعصابها ومشاعرها وأعضائها.

كذلك برزت هذه السمة في التاريخ اليهودي حيث كانت ملازمة له في كل مراحله وأطواره، إنه تاريخ صيغ من الذلة والمسكنة، إنه تاريخ أذلاء صاغرين، إنه تاريخ أقوام ملعونين مغضوب عليهم مضطهدين مشردين.

وطالما أن الذلة والمسكنة نشأت عليهما نفوسهم وشخصياتهم فإن